اى لو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم لفعل ولكن لم يشاء لما يقتضيه من الحكم والمصالح
وقرئ لاذهب باسماعهم على زيادة الباء كما فى قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة الاسماع والابصار
فى المشهورة لان السمع مصدر فى الاصل والجملة الشرطية معطوفة على ما قبلها من الجمل
الاستينافية وقيل على كلما اضاء الخ وقوله عز وجل ان الله على كل شيء قدير تعليل للشرطية
وتقرير لمضمونها الناطق بقدرته تعالى على ازالة مشاعرهم بالطريق البرهانى والشيء
بحسب مفهومه اللغوى يقع على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه كائنا من كان على انه فى
الاصل مصدر شاء اطلق على المفعول واكتفى فى ذلك تعلق المشية به من حيث العلم والاخبار
عنه فقط وقد خص ههنا بالممكن موجودا كان او معدوما بقضية اختصاص تعلق
القدرة به لما انها عبارة عن التمكن من الايجاد والاعدام الخاصين به وقيل هى صفة تقتضى
ذلك التمكن والقادر هو الذى ان شاء فعل وان شاء لم يفعل والقدير هو الفعال لكل ما يشاء
كما يشاء ولذلك لم يوصف به غير البارى جل جلاله ومعنى قدرته تعالى على الممكن الموجود
حال وجوده انه ان شاء ابقاه على الوجود ابقاؤه عليه فان علة الوجود هى علة البقاء وقد مر
تحقيقه فى تفسير قوله تعالى رب العالمين وان شاء اعدمه ومعنى قدرته على المعدوم
حال عدمه انه ان شاء ايجاده اوجده وان لم يشاء لم يوجده وقيل قدرة الانسان هيئة
بها يتمكن من الفعل والترك وقدرة الله تعالى عبارة عن نفى العجز عنه والاشتقاق القدرة من القدر
لان القادر يوقع الفعل بقدر ما يقتضيه او بقدر قوته وفيه دليل على ان مقدور
العبد مقدور لله تعالى حقيقة لانه شيء وكل شيء مقدور له تعالى واعلم ان كل واحد من
التمثيلين وان احتمل ان يكون من قبيل التمثيل المفرق كما فى قوله كان قلوب الطير رطبا ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالى بان يشبه المنافقون فى التمثيل الاول بالمستوقدين
واظهارهم الفطرى بالنار وتأييدهم اياه بما شاهدوه من الدلائل باستيقادها وتمكنهم
التام من الانتفاع به باضاءتها ما حولهم وازالته بذهاب النور النارى واخذ الضلالة
بمقابلته بملابستهم الظلمات الكثيفة وبقائهم فيها ومتشبثوا فى التمثيل الثانى باللسان
والقرآن وما فيه من العلوم والمعارف التى هى مدار الحيوة الابدية بالصيب الذى هو مدار
الحيوة الارضية وما عرض لهم بنزوله من الغموم والاحزان وانكساف البال
وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وتصامهم عما يقرع اسماعهم من الوعيد
بحال من يهوله الرعد والبرق فيخاف صواعقه فيسد اذنه منها ولا خلاص له منها
واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد يحرزونه بمشيهم فى مطرح

ضوء

ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم فى امرهم حين عن مصيبته بوقوفهم اذا اظلم عليهم لكن
الحمل على التمثيل المركب الذى لا يعتبر فيه تشبيه كل واحد من المفردات الواقعة فى جانب المشبه
هيئة فتشبه بهيئة اخرى منتزعة من المفردات الواقعة فى جانب المشبه به بل ينتزع من
المنافقين واحوالهم المفصلة فى كل واحد من التمثيلين هيئة على حدة وينتزع من كل واحد
من المستوقدين واصحاب الصيب واحوالهم المحكية هيئة منتزعة تحاكيها فتشبه
كل واحدة من الاوليين بما يضاهيها من الاخريين هو الذى يقتضيه جزالة التنزيل وعنه
فخامة شانه الجليل لا مشاكله على التشبيه الاول اجمالا مع امر زائد هو تشبيه الهيئة
بالهيئة وايذانه بان اجتماع تلك المفردات مستتبع لهيئة عجيبة حقيقة بان تكون
مثلا فى الغرابة يا ايها الناس اعبدوا ربكم اثر ما ذكر الله تعالى على طبقة كتابه الكريم
وتحزب الناس فى شانه الى ثلث فرق مؤمنة به محافظة على ما فيه من الشرايع و
الاحكام وكافرة قد نبذته وراء ظهورها بالمجاهرة والشقاق واخرى مذبذبة بينهما
بالمخادعة والنفاق ونعت كل فرقة منها بما لها من النعوت والاحوال وبين ما لهم من
المصير والمآل اقبل عليهم بالخطاب على نهج الالتفات هزا لهم الى الاصغاء وتوجيها
لقلوبهم نحو التلقى وجبرا لما فى العبادة من الكلفة بلذة الخطاب فامرهم كافة بعبادته ونهاهم
عن الاشراك به ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة
البعيد اما لعظمته كما فى قول الداعى يا الله ويا رب وهو اقرب اليه من حبل الوريد استقصارا
لنفسه واستبعادا لها من محافل الزلفى ومنازل المقربين واما لتنبيهها على غفلته وسوء
فهمه وقد يقصد به التنبيه على ان ما يعقبه امر خطير يعتنى بشانه واى اسم مبهم جعل
وصلة الى نداء المعرف باللام لان انه صفة موضحة له مزيلة لابهامه والتزم رفعه مع
انتصاب موصوفه محلا اشعارا بانه المقصود بالنداء واقحمت بينهما كلمة التنبيه تاكيدا
لمعنى النداء وتعويضا لما يستحقه اى من المضاف اليه ولما ترى من استقلال هذه
الطريقة بضروب من اسباب المبالغة والتاكيد كثر سلوكها فى التنزيل المجيد كيف لا
وكل ما ورد فى تضاعيفه من الاحكام والشرايع وغير ذلك خطوب جليلة حقيقة بان
تقشعر منها الجلود وتطمئن بها القلوب الابية ويتلقوها باذان واعية واكثرها
عنها غافلون فاقتضى الحال المبالغة والتاكيد فى الايقاظ والتنبيه والمراد بالناس
كافة المكلفين الموجودين فى ذلك العصر لما ان الجموع واسماءها المحلاة باللام
بدليل صحة استثناء منها والتاكيد بما يفيد العموم كما فى قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)